رأي حكيم شرقي

من رسالة باللغة الفارسية ارسلها السيد جمال الدين الافغاني الى السيد الحاج حسن مستان الداغستاني في ١٥ دسمبر ١٨٨٠ ولم تزل محفوظة عند صهر السيد الداغستاني العلامة الفارسي المرزا عبد المهدي فلاح الاصفهاني من اعيان الجالية الايرانية في الاسكندرية وقد اوصاهُ بنشرها بعد وفاته

صديقي العزيز السيد الحاج حسن مستان الداغستاني المحترم

اطلعت على رسالتكم المؤرخة في ١٥ نوفمبر وذكركم شيئاً عن احوال ايران الحاضرة . ظننتم ان السبب في حرمان امة ايران ودولتها من الرقي الحاضر هو تعرُّض العلماء لادارة البلاد وسياستها . وقد طلبتم رأي هذا العاجز في هذا الموضوع فاعرض رأيي الخاص وارجو منكم عذراً

ان ما ظننتموهُ في علماء ايران بعيد عن دائرة العدل والحق . فلا يخفى انهُ متى كانت السلطة مطلقة مقتدرة فرجال الدين لا يستطيعون ان يمنعوا السلطة القادرة عن اجراء ما تريدهُ خصوصاً في العصر الحاضر ولا ارى قوة تمنع الحكومة عن اجراء اوامرها في ترقية الامة

متى ارادت دولة ايران انشاء سكة حديدية في بلادها وقاومها علماء الدين ومنعوها من تحقيق هذه الامنية النافعة للدولة والوطن

متى ارادت الدولة ان تجري المدارس وتنشئ دور العلم لتهذيب الناشئة في البلاد وتعميم التعليم واطفأ علماء ايران النور الذي ينير الاذهان ويطرد ظلام الجهالة من بين الناس قائلين ان العلم الصحيح مغاير للشرع الشريف

متى ارادت الدولة ان تقيم العدل بين الرعية وتنشئ المحاكم العدلية وتوجد مجالس الشورى حتى تجري الاحكام كلها بالعدل وحسب حاجات العصر الحاضر وقام العلماء في وجهها لمحاربوا العدل والقانون

متى ارادت الدولة ان تنشئ مستشفيات حديثة وتعدها للعناية بالمرضى وتوجد فيها كل ما يلزم لتخفيف آلام الناس حسب مقتضى الفن وتقيم ملاجئ العجزة ودوراً للايتام واغاظ العلماء من هذه الاعمال الخيرية الجديدة وقالوا ان هذا الجديد بدعة وكل بدعة الى الهلاك

متى ارادت الدولة ان تزيد قوتها وتنظم جنودها وتوصلهم الى مائتي الف وتسلحهم

بالسلاح الحديث للدفاع عن البلاد حسب علم الحرب الجديد وحسب مطالب الزمن الحاضر وكان العلماء مخالفين لها

اما ما ذكرتموهُ عن العلماء من انهم اهملوا ما يجب عليهم من حيث التعليم بالشرع الشريف ونشر الصلاح والآداب واشتغلوا بما ينفعهم ويجر المنافع الى ذويهم في كل ايران وانهم كانوا الباعث على القحط والغلاء الحاضر وهلاك الوف من عباد الله ففيهِ بعض الصواب لكن هذا العمل الضار لم يكن عامًّا بل انحصر في البعض من الذين اجتهدوا حتى حصروا المنافع كلها في انفسهم وبهذا السبيل المشؤم حصلوا بطريق غير مشروع على امتلاك نصف بلاد اذربايجان وعملهم هذا لا يعم كل علماء ايران الذين قام منهم كثيرون خدموا الحق والفضيلة وهم لا يملكون الا القليل من حطام الدنيا

ولا يخفى ان هذا العمل المذموم كان معمولاً بهِ في كل زمان ومكان ولكن حسن الادارة وقوة العدل وعلم الحكام واخلاصهم كل ذلك مكن الحكَّام من منع الاحتكار ونشر العدل والمساواة بين الناس وتسهيل وسائل الانتقال

ان الدولة الحكيمة العادلة كالاب الحنون للامة تمنع عنها كل ظلم وحيف من الداخل ومن الخارج ايضًا . ومن اقدس الواجبات على ارباب الحكم منع الظلم عن كل افراد الرعية . واذا كانت الدولة تهمل هذه الحال تكون للظلم مروجة وللجور والاعتساف ناشرة . وما تشاهدهُ الآن في ايران يؤيد ما اقول فلا يعين حاكم لاقليم الاَّ بعد ما يبذل مبلغًا كبيرًا للحصول على المنصب واذا نالهُ جعل فاتحة اعماله ظلم العباد ونهب البلاد وجلب العار على الدولة والامة ايضًا . فمسألة فتنة الاكراد وما جرَّت على البلاد من الخراب والدمار كان الباعث عليها الظلم

يظن القوم في ايران ان عمل الحاكم من اسهل الاعمال ويحسبون ان كل فتى مبسور يقدر ان يكون حاكمًا في الولايات والاقاليم . ان اسباب العصيان الحاضر لكل امرء رأي فيهِ بعضهم يتهم الروس ويقول انهم اضرموا نار الفتنة وسلحوا الاكراد حتى عصوا على الشاه . وغيرهم يزعم ان العثمانية هي العاملة لان الاكراد لا يقومون على ذلك من تلقاء انفسهم ولكنني اجسر واقول ان اليد التي تحرك الفتنة في البلاد وتنشر الفساد هي سلسلة متصلة من المظالم اوجدتها يد الظلم وكان الواجب ان لا ندع لاعدائنا الاقوياء سبيلاً علينا . وعلى كل حال لا بدَّ من اجراء العدل والمساواة بين كل طبقات الامة والاَّ بقي باب الوطن مفتوحًا على مصراعيهِ ليدخلهُ العدو . ولو عُرفت الدولة العثمانية بالعدل

والانصاف في البوسنه والهرسك والبلغار لما بدا ما بدا من العصيان وسفك الدماء في تلك الشعوب السلافية ولبقيت تلك البلاد جزءاً من السلطنة العثمانية ولنجا العالم من ويلات الحرب بين الترك والروس سنة ١٨٧٧ . ان التاريخ الصحيح يثبت هذا الرأي الصحيح . فحيث يكون الظلم وعدم السلام لا يبقى للدولة اتزان الدولة بالعدل تقوم والامة بالعلم تحيا

مساحة فرنسا كلها نحو ثلث مساحة ايران واربعون مليوناً من النفوس يعيشون بسعة في بلاد الفرنسيس . والرسوم التي تجبى منهم سنوياً تبلغ خمسمائة كرود طومان (الكرود نصف مليون) وايران مع كل مساحتها ليس فيها الا عشرة ملايين من النفوس وكل ما يجبى منها سبعة كرود طومان فما سبب ذلك؟ ان سبب العمران في فرنسا العدل والمساواة والاخاء والحرية . وهذه كلها مفقودة في ايران

يُعلَم ان من اسباب الترقي الذي عمّ البلاد الغربية العلم وتعميمهُ . وقد سعى الناس اليهِ من دون مساعدة الدولة الحاكمة فترقت البلاد وزاد مجد الدولة وغناها وترقت الصنائع والفنون وزادت ثروة الافراد والامة وصلحت الاحوال بالعمل بالقانون . هذا هو الطريق السوي المؤدي الى الارتقاء والمجد

ان رجال الدولة في ايران بارعون في السياسة وصناعة الكلام لكن علمهم بلا عمل ولو ان جزءاً من مائة جزء من القوى التي يبذلونها في الاقوال يبذلونهُ في الاعمال لكانت ايران في مصاف الدول الكبرى رقياً وغنىً ومجداً وقوةً . نأسف كثيراً اذا رأينا عظيماً ينفق الوقت والمال لاكتساب شهرة لا تنفع منها ويهمل الاعمال النافعة التي تعود بالخير والفلاح على الدولة وتعود عليهِ بالخير والثواب في الآخرة والذكر الصالح الخالد في تاريخ البلاد

من الاسباب الداعية الى الترقي في الغرب حرية المطبوعات فهذه الحرية تنشر محاسن الحكام ومساوئهم بلا استثناء . فذوو الصفات العالية يطلبون المزيد في اتقان الاعمال والمبتلى بالفساد وحب الذات والكسب يضطر الى ترك الاعمال المضرة . ولا احد يعترض على حرية النشر الا متى كان ضد الحق والحقيقة او كان افتراء ويحق للمعتدى عليهِ حينئذٍ ان يطلب حقهُ المهضوم في المحكمة امام القانون . لكن جرائدنا في ايران على ضد ذلك تماماً تقول عن الحسن حسناً وعن القبيح حسناً لا فرق عندها ولا تميز بين الحسن والقبيح وهي بالنظر مشحونة والداعي الى هذه الحال اكراه الحكام والامراء وصاحب الجريدة مظلوم لان هذه الحال لا تصلح لحياة الجرائد التي يجب ان تنشر الامور النافعة والآراء الصائبة والحوادث الحقة

في زمن فتنة اذربا يجان كان القحط في المملكة منتشراً والظلم سائداً فعمى الكرد وعمّ الاضطراب واسى الناس في حيرة وخوف لا يظنون المصير ومع كل هذه البلايا كانت جرائد ايران تنشر في اعمدتها ان ولاية تبريز وملحقاتها في احسن حال والامن سائد بالجتهاد المأمورين خدام حضرة الاقدس العالي والاهالي مشغولون بالدعاء لذات صاحب البركات العالي الاقدس الهمايون (شاهنشاهي) لتكن ارواحنا فداءهُ

وليس لسفراء ايران في البلاد الاجنبية فائدة للامة. قد يقول البعض ان السفير مرآة الملك وعين الملك وسمعهُ فينبئهُ بكل ما يسمعهُ ويراهُ باخلاص وامانة . ولكن اين رجال الدولة الذين يطلبون ذلك من السفراء وينظرون في تقاريرهم نظر المدقق الحكيم. لايران نحو مائة وتيف من قنصل ورئيس قنصل في بلدان غير مهمة وكل هذا الجند الكبير صامت لا يرفع تقريراً ولا يبدي ملاحظة تجارية او عمرانية او علمية او سياسية لوزارة الخارجية في طهران ولا الوزارة تسألهم عن شيء فلا تنفع منهم للدولة والامة واكثرهم لا يعلم شيئاً عن نظام السياسة

انا نأسف لحال الايرانيين الذين ساقهم الظلم الى هجران وطنهم وطلب وطن آخر فيهِ يرتزقون ثم يتبعهم الجور من ممثلي حكومتهم الظالمين وياليت الذكرى تنفع انها انما تبعث على الحزن والالم

يا صديقي المحترم ان ما ما ذكرتهُ الآن في هذه الرسالة هو مثال لحالة ايران العمومية الحاضرة وقيسوا عليهِ مالم يذكر فيظهر لكم ان علة كل مصائب بلادنا الظلم لا سواهُ والدولة بظلها الرعية تظلم نفسها والعلاج لهذا الداء تعميم المدارس ونشر التعليم الصحيح والتهذيب العالي فيبطل الظلم ويسود العدل وتصلح الاخلاق . وهذا الاصلاح يطلب همة محبي الوطن وتفانيهم فتنتشر المعارف في كل بلاد الفرس وتنجو الامة من اسباب الهلاك والفناء و يدفعها العلم الى ساحل النجاة واذا تأخر هذا العمل المبرور فقل على دولة ايران السلام (خدا حافظ) حفظكم الله ٢٥ دسمبر ١٨٨١ جمال الدين

ان مشاهير الاحرار الايرانيين اضطروا في عهد الشاه ناصر الدين وعماله الى هجر وطنهم والالتجاء الى البلاد الشرقية الاسلامية هرباً من انظلم فكتب بعضهم كالسيد جمال الدين بالافغاني وهو في الحقيقة ايراني صميم من بلدة اسد اباد من ولاية همذان في ايران كما ان صديقهُ الداغستاني من بلدة مراغه في ولاية تبريز بايران عبد المهدي فلاح الاصفهاني